تبصير الأنام بما للمريض وزائره من ثواب

تأليف
خلف سعد خلف مخلوف
إمام وخطيب بوزارة الأوقاف المصرية

دار العقيدة

بسم الله الرحمن الرحيم

وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا

الطبعة الأولى
٢٠٠٥م - ١٤٢٦هـ

دار العقيدة
طبع * نشر * توزيع

رقم الإيداع : ٢٠٧٣٩ / ٢٠٠٥
الترقيم الدولي: 4 - 078 - 347 -977

دار العقيدة
الإسكندرية: ١٠١ ش الفتح باكوس ت: ٠٣/٥٧٤٧٣٢١ ف: ٠٣/٥٧٦٥٦٢١
القاهرة: ٢ درب الأتراك - خلف الجامع الأزهر ت: ٠٠٢٠٢/٥١٤٣١٧٤

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله يبتلى الخلائق ليظهر الصادق من الكاذب، والصابر من الجازع.

وأشهد أن لا إله إلا الله، جعل الدنيا دار ابتلاء واختبار، وقد قال: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ (الملك: ٢). وأشهد أن محمداً رسول الله خير من ابتُلى فصبر، وأُعطى فشكر، صلى الله عليه وآله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد:

لقد شاءت إرادة الله تعالى أن تكون الدنيا دار اختبار وتمحيص وامتحان وابتلاء يبتلى فيها الإنسان بالخير الذى تميل إليه النفوس، فيغتنى بعد فقر، ويصح بعد مرض، ويقوى بعد ضعف . . . إلخ.

ويبتليه بالشر الذى تكرهه النفوس وتأباه. فيفتقر بعد غنى، ويمرض بعد صحة ويضعف بعد قوة، وتنزل بساحته المصائب والبلايا. كل ذلك لا لعداوة بين الخالق وخلقه، كلا فهو أرحم بهم من أنفسهم.

ولا لعدم علمه بما يكون منهم من خير أو شر، فلقد علم أزلاً ما يكون من خلقه من طاعة أو معصية.

لكن لأن حكمته قضت أن تكون الدنيا دار ابتلاء لخلقه.

قال تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴾ (محمد: ٣١).

ولقد كان المرض من بين تلك الاختبارات التى يتعرض لها الإنسان، فلا يكاد ينجو منها أحد سواء كان رجلاً أو امرأة، صغيراً كان أو كبيراً.

قال أبو العتاهية:

اصبرْ لكل مصيبةٍ وتجلّد   واعلمْ بأن المرءَ غير مخلّدِ
أو ما ترى أن المصائبَ جمّةٌ   وترى المنيَةَ للعباد بَمرْصَدِ
مَنْ لم يصب ممن ترى بمصيبة   هذا سبيل لستُ عنه بأوحدِ

وقال آخر:

على ذا مضى الناسُ اجتماعٌ وفرقةٌ ... وميتٌ ومولودٌ وبِشْرٌ وأحزانُ

وأمام المرض تخور النفوس الضعيفة، وتجزع، ونسمع على ألسنة أصحابها كلمات تعبر عن ضعف الإيمان وقلة اليقين ووهن العزيمة.

تسمع أحدهم يقول: «يا رب أما وجدت غيرى . . . ماذا صنعت حتى تنزل بى المرض . . .».

أما أهل الإيمان الراسخ يعلمون أن المرض قَدَرُ الله تعالى، ويدركون أنه ابتلاء، ويوقنون أنه تكفير لسيئاتهم، ومحو لخطاياهم، ورفع لدرجاتهم؛ فيصبرون ويحتسبون ويضبطون أنفسهم، فلا يصدر منهم إلا ما يُرضِى الله سواء كان قولا أو فعلا.

ولقد حثَّ الإسلام أتباعَه على التحلى بخلق الصبر أمام ابتلاءات الدنيا واختباراتها، وربط بينه وبين النجاح والفلاح فى الدنيا والآخرة، فما جزاء الصابرين؟ وبساحة من ينزل

البلاء؟ ومـاذا ينبغـى للمريض ولـزائره فعله؟ وهـل يجوز التوجع والأنين؟ وما حكم تمنى الموت؟

كل هذا وغـيره تجـيب عنه الـدراسة التـالية والـسطور المتـواضعـة القادمـة بإذن الله تعـالى، والتـى أسأل الله أن يجعلها خـالصةً لوجهه، وأن يجعلنـا من الذين إذا ابتلاهم صـبروا، وإذا أعـطاهـم شكروا، إنـه على ذلـك قـدير، وبالإجابة جدير.

كتبه

خلف سعد

بساحة من ينزل البلاء

كلنا عُرْضة للمرض، فالمرض طبيعة بشرية، وصفة إنسانية، فبينما ينام الإنسان سليم الجسد متمتعاً بالصحة يصبح وقد اعتل جسمه، وسقم بدنه، وبينما يخرج من بيته معافى، يقوده النشاط، وتصحبه الحركة، يعود ليلقى بجسده على أول مكان يلقاه، وقد ظهرت عليه أعراض المرض وآثار التعب. وهذه أمور يسلِّم بها العقلاء، ويعيها المسلمون.

ولكننا عندما نسمع ببلاء مرضًا كان أو غيره نزل بواحد من الناس يكثر كلامنا، وتتطاولَ ألسنتنا بما لا يتفق ومبادئ ديننا.

فنقول: ما مرض فلانٌ إلا لأن الله يبغضه، وما حلت بفلان البلايا إلا لأن الرب يكرهه. فهل هذا المنطق والفهم يتفق مع أسس إسلامنا؟

كلا، فهو منطق خاطئ، وحكم غير صائب، فلا المرض دَليل غضب الرب، ولا الصحة دليل حب الإله.

فلقد مرض محمد وهو حبيب الله، واعتل جسد أيوب وهو نبى الله، وصح جسد فرعون حتى قيل إنه لم يمرض قط حتى أدركه الغرق.

وتتضح الأمور، ويزال الإشكال، وتصحح المفاهيم الخاطئة عندما تتدبر قول الله تعالى: ﴿فَأَمَّا الإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ ﴿١٦﴾ كَلاَّ بَل لاَّ تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾ (الفجر: ١٥-١٧).

فالله تعالى ينكر على الإنسان اعتقاده إذا وسَّع الله تعالى عليه في الرزق ليختبره في ذلك، فيعتقد أن ذلك من الله إكراماً له، وليس كذلك، بل هو ابتلاء وامتحان، كما قال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لاَّ يَشْعُرُونَ﴾ (المؤمنون: ٥٥، ٥٦).

كذلك في الجانب الآخر إذا ابتلاه وامتحنه وضيَّق عليه في الرزق، يعتقد أن ذلك من الله إهانة له، كما قال الله تعالى: ﴿كَلاَّ﴾ أي ليس الأمر كما زعم، لا في هذا، ولا في هذا، فإن الله يعطي المال من يحب ومن لا يحب، ويضيق على من يحب ومن لا يحب، وإنما المدار في الحالين على طاعة الله، إن كان غنياً شكر، وإن كان فقيراً صبر»[(١)].

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٥٤٤).

الناس والبلاء

والحق أن الناس بالنسبة للبلاء -أمراض كانت أو غيرها- ثلاثة أصناف:

أولها: الكفار، والبلاء بالنسبة لهم عذاب، فيسلط الله عليهم فيروسًا لا تراه العين المجردة، فيعذب به عامتهم، ويسهر به فى المعامل علماءهم يبحثون فى المعامل عن علاج، فلا يجدون، ويحاولون الوصول إلى دواء فلا يتوصلون: ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (آل عمران: ١١٧).

لقد دعتهم الرسل ونزلت عليهم الكتب فلم يستجيبوا، فما كان من السماء إلا أن سامتهم سوء العذاب، لعلهم يرجعون عن معاداة ربهم، ويقلعون عما حرَّم عليهم. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ (المؤمنون: ٧٦)، ﴿فَمَا اسْتَكَانُوا﴾ ماخشعوا ﴿وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ ما دعوا.

﴿فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ فما ردهم ذلك عما كانوا فيه من الكفر والمخالفة، بل استمروا على غيهم وضلالهم.(١)

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٢٦٢) دار المعرفة.

فخيرٌ للكفار أن يرجعوا إلى الإسلام، وأن يتطهروا من دنس المعاصى؛ ليسعدوا بحياة طيبة فى الدارين، ويسلموا من عذاب الدنيا ولهيب نار الآخرة. قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (النحل: ٩٧).

ثانيها: عصاة المؤمنين، والبلاء بالنسبة لهم -مرضًا كان أو غيره- منحة ربانية، إذ فيه تكفير لسيئاتهم، ومحو لذنوبهم، فيلقون ربهم وليس لهم ذنوب يستحقون بها دخول النار.

عن أبى هريرة ﷺ، قال رسول الله ﷺ: «**ما يصيب المؤمن من نصب**[١] **ولا وصب**[٢] **ولا همٍّ ولا حزن ولا أذى ولا غم، حتى الشوكة يشاكها، إلا كفَّر الله بها من خطاياه**»[٣].

وعن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا أراد الله بعبده الخير عجَّل له العقوبة فى الدنيا، وإذا أراد بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافى به يوم القيامة**»[٤].

---

(١) أى: تعب.
(٢) أى: مرض.
(٣) رواه البخارى ومسلم.
(٤) رواه الترمذى.

وعن أبى هريرة رضي الله عنه، عن النبى ﷺ أنه قال: «**ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة فى نفسه وولده وماله حتى يلقى الله تعالى وما عليه خطيئة**»[١].

فواجب المؤمن أن يقلع عن المعاصى، ويتوب إلى ربه، حتى يرفع الله عنه ما نزل به من بلاء؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ (الرعد: ١١).

كذلك ينبغى له أن يضاعف من عمل الصالحات، ويجتهد فى طاعة الله بعد نزول البلاء، فقد حبس وهب ابن منبه فقال له رجل من الأبناء: ألا أنشدك بيتًا من الشعر يا أبا عبد الله؟ فقال وهب: نحن فى طرف من عذاب الله والله يقول: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ (المؤمنون: ٧٦). وصام وهب ثلاثًا متواصلة فقيل له: ما هذا الصوم يا أبا عبد الله؟

فقال وهب: أحدث لنا فأحدثنا. يعنى: أحدث لنا الحبس فأحدثنا زيادة العبادة[٢].

(١) رواه الترمذى.

(٢) تفسير ابن كثير.

ثالثها: المؤمنون الصالحون، والبلاء بالنسبة لهؤلاء الأخيار محبة من الله لهم، وإعلاء لمنزلتهم، حيث إن فى بلائهم -مرضًا كان أو غيره- رفعًا لدرجاتهم فى الآخرة، وقبل ذلك ليكونوا قدوة لغيرهم فى الصبر والشكر.

عن أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الرجل ليكون له المنزلة عند الله، فما يبلغها بعمل، فما يزال يبتليه حتى يبلّغه إياها**».(١)

عن أبى سعيد الخدرى ﷺ، أن النبى ﷺ قال: «**إذا أراد الله بعبده خيراً، أو أراد أن يصافيه صبّ عليه البلاء صبًا، فإذا دعا العبد قال: يا رباه. قال الله: لبيك عبدى، لا تسألنى شيئاً إلا أعطيتك، إما أن أعجّله لك، وإما أن أدخره لك**».(٢)

أيوب عليه السلام

على أن الابتلاء له فى حياة الصالحين مكان كبير. وليس أكرم على الله من رسله وأنبيائه وحيث إن ابتلاء الله لحبيبه أيوب قريب من موضوعنا فسنعرض له بشىء من الإيجاز.

---

(١) رواه أبو يعلى وابن حبان فى «صحيحه».

(٢) رواه ابن أبى الدنيا.

قال تعالى: ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ (الأنبياء: ٨٣).

يقول العلامة ابن كثير: يذكر الله تعالى عن أيوب عليه السلام ما كان أصابه من البلاء في ماله وولده وجسمه، وذلك أنه كان له من الدواب والأنعام والحرث شيء كثير، وأولاد كثير، ومنازل مرضية، فابتُلي في ذلك كله، وذهب عن آخره، ثم ابتلى في جسده . . . حتى عافه الجليس، ولم يعد أحد يحنو عليه سوى زوجته، والتي كانت تقوم بأمره، وقد كان أيوب غايةً في الصبر، يضرب به المثل في ذلك وقد ضاعف له الله الأجر في الدنيا والآخرة جزاءَ صبره.

وقد كان جزاء صبره وامتثاله أمر الله تعالى أن كافأه في الدنيا قبل الآخرة، فكشف ضره، ورد عليه ما كان قد سلبه منه.

قال تعالى: ﴿ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ ﴾ (الأنبياء: ٨٤).

قال مجاهد وعكرمة: قيل لأيوب قد آتيناك أهلك في الجنة، فإن شئت تركناهم لك في الجنة، وإن شئت أتيناكم في الدنيا. قال مجاهد: فتركهم الله له في الجنة وأعطاه مثلهم في

الدنيا. قال النحاس: والإسناد عنهما بذلك صحيح.(١)

إن الهدف من سياق القرآن لقصة أيوب ما هو إلا تذكير للمؤمنين؛ حتى إذا ذكروا أيوب وما تعرض له، وهو أفضل أهل زمانه، وظنّوا أنفسهم على الصبر على شدائد الدنيا ومصاعبها، كما كان من أيوب عليه السلام، وفهموا أن المؤمن أكثر عُرْضة للبلاء من غيره.

بخلاف الكافر، فربما بسط له اللهُ الرزق، وأمده بالصحة، وأغرقه في لذائذ الدنيا، قال تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا﴾ (مريم: ٧٥).

فإذا أراد عذابه سلب منه كل ذلك، وتركه يعانى الآلام، وخلى بينه وبين كفره، ولعذاب الآخرة أشد وأبقى.

وعند البخارى: عن عبد الله بن كعب عن أبيه عن النبى ﷺ قال: **«مثل المؤمن كالخامة من الزرع، تفيئها الريح مرة، وتعدلها مرة، ومثل المنافق كالأرزة، لا تزال حتى يكون انجعافها مرة واحدة»**.(٢)

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ١٩٧) دار المعرفة.

(٢) صحيح البخارى، كتاب «المرضى».

«كالخـامة» أول مـا ينبت مـن الزرع على سـاق واحدة «تفيئهـا» تميلها، «كالأرزة» شجر معتـدل صلب، لا يحركه هبوب الريح. «انجعافها» انقلاعها.

ومعنى الحديث: «أن المؤمن حيث جاءه أمر الله فطاع له، فإن وقع له خـير فرح به وشكر، وإن وقع له مـكروه صبر، ورجا فيه الخير والأجر، فإذا اعتدل شاكرًا. والكافر لا يتفقده الله باختباره، بل يحـصل له التيسير فى الدنيا؛ ليتـعسر عليه الحال فى المعاد، حـتى إذا أراد إهلاكه قصمه، فـيكون موته أشد عذابًا عليه، وأكثر ألـمًا فى خروج نفسه».[1]

التـوجـع

قد تحل بالإنسان آفة فيألم لهـا، وقد تنزل بساحته العلل فتعمل فيه عملهـا، ومن الأمراض ما هو ثقيل الوقع شديد الألم عـلى الأبدان والنـفوس، فـهل يجـوز للمـريض أن يتوجـع فيقول مـثلاً: «وارأساه»؟ وهل يجـوز له الأنين[2]

(١) صحيح البخارى بشرح ابن حجر.
(٢) الأنين: التـأوه. انظر القاموس المحـيط -الفيروز آبـادى. باب النون فصل الهمزة.

وهل يجوز له إخبار الخلق بما وقع عليه من مرض؟ نعم يجوز له التوجع، فيقول وارأساه مثلاً، بشرط أن يكون قلبه منطويًا على الإيمان بقضاء الله وقدره والتسليم لمشيئته والرضا بحكمة، وقد كان السلف وعلى رأسهم رسول الله ﷺ ينزل بهم المرض فيتوجعون فعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ طرقه وجعٌ فجعل يشتكى، ويتقلب على فراشه، فقالت عائشة: «**لو صنع هذا أحدنا لوجدت عليه**».(١) فقال النبى ﷺ: «**إن الصالحين يشدّد عليهم، وإنه لا يصيب مؤمنًا نكبة من شوكة فما فوق ذلك إلا حطت به عنه خطيئة، ورفع بها درجة**»(٢).

وعن القاسم بن محمد قال: قالت عائشة رضي الله عنها: «**وارأساه**». فقال النبى ﷺ: «**بل أنا وارأساه**» .... وذكر الحديث.(٣)

وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: لما قدم رسول الله المدينة وعك أبو بكر وبلال رضي الله عنهما، قالت: فدخلت عليهما فقلت: يا أبت كيف تجدك؟ قالت: وكان أبو بكر إذا أخذته الحمى يقول:

---

(١) أى غضبت.

(٢) رواه أحمد (٦/ ١٥٩)، وجاء فى صحيح الجامع (١٦٦٠).

(٣) رواه البخاري.

كلُّ امرئٍ مصبّح في أهلهِ والموتُ أدنى من شراكِ[1] نعلهِ

وكان بلال إذا أقلعت عنه يقول:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلةً بوادٍ حولي إذخر[2] وجليلُ[3]

وهل أردنْ يوماً مياه مجنةٍ وهل يبدونْ لي شامةٌ وطفيلُ[4]

قالت عائشة: فجئت رسول الله ﷺ فأخبرته، فقال: **«اللهم حبّب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد، اللهم وصححها، وبارك لنا في مدها وصاعها، وانقل حماها فاجعلها بالجحفة»**. [5]

إخبار الخلق

أما إخبار الخلق فقيل بجوازه أيضاً إذا كان في الإخبار مصلحة للمريض، ولم يكن الدافع سخطًا أو جزعًا.

قال المروزي: دخلت على أبي عبد الله أحمد بن حنبل

---

(١) شراك النعل: سير النعل على وجهها.
(٢) الإذخر: حشيشة طيبة الرائحة.
(٣) جليل: نبت ضعيف.
(٤) شامة وطفيل: جهة بمكة.
(٥) رواه البخاري (٢/ ٨٤٤).

وهو مريض، فسألته فتغرغرت عيناه، وجعل يخبرنى ما مر به فى ليلته من العلة[١].

وقال أبو عبد الله محمد بن محمد الحنبلى: وأما إخبار المخلوق بحاله لا على وجه الشكوى، فإن كان للاستعانة بأن يرشده أو يوصله إلى زوال ضره بما ينفعه مما هو أخبر منه به كالحجام يحجمه ويقلع ضرسه، أو رجل صالح يدعو له، فهذه الأمور على هذا الوجه لم تقدح فى صبره؛ لأن هذا كإخبار المريض الطبيب بحاله، وإخبار المبتلى فى جسده ببلائه لمن يرجو أن يكون فرجه على يديه، كإخبار المظلوم لمن ينتصر به، وإخبار المبتلى فى دينه لمن هو مسترشد الهداية؛ ليبين له طريق الهداية إن وفق لها[٢].

أما الإخبار إذا كان على وجه الشكاية. فلا، فإنه يدل على ضعف الدين ووهن اليقين وجهل الشاكى، إذ إنه يشكو من يرحمه إلى من لا يرحمه، ومن بيده النفع والضر إلى عبد ضعيف لا ينفع ولا يضر، ولا شك أن ذلك يحبط أجر المسلم، ويقدح فى صبره، والذى علق

---

(١) انظر تسلية أهل المصائب ص (١٦٣).

(٢) المرجع السابق ص (١٦٨).

عليه كثير من العلماء الأجر والثواب.

إن كثيراً من أهل البلاء يملئون الشوارع والطرقات، وأمام أبواب المساجد، يستعطفون الخلق بعرض ما نزل بهم من بلاء. فهؤلاء إن كان مجتمع المسلمين قام بواجبه نحوهم، فوفر لهم أسباب المعيشة الكريمة، فينبغى لهم ألا يقفوا هذه المواقف؛ ويعرضون أنفسهم للذل والمهانة.

لما نزل فى عينى عطاء الماءُ مكث عشرين سنة، لا يعلم به أهله، حتى جاء ابنه يوماً من قبل عينه التى أصيب فيها، فشعر به، فعلم أن الشيخ قد أصيب.[1]

ودخل رجل على داود الطائى فى فراشه فرآه يزحف فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، فقال: مه لا تعلم بهذا أحداً، وقد أقعد قبل ذلك بأربعة أشهر لم يُعلِم بذلك أحداً.[2]

وشكى الأحنف إلى عمه وجعَ ضرسه فكرر عليه فقال: أتكرر عليَّ، لقد ذهبت عينى منذ أربعين سنة، فما شكوتها إلى أحد.[3]

---

(١) المرجع السابق ص (١٦٧).

(٢) المرجع السابق ص (١٦٧).

(٣) المرجع السابق ص (١٦٨).

ولعل قائلاً يقول: كيف يقال هذا؟ وقد حكى القرآن عن أيوب عليه السلام أنه أخبر بما أصابه فقال تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (الأنبياء: ٨٣).

فنقول: إن أيوب لم يخبر مخلوقاً، وإنما كان هذا منه لله، ثم إنه دعاء توجه به لله تعالى؛ ليزيل ما نزل به من ضر، ولم يكن شكاية أو جزع.

إذ يقول الله في حقه ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا﴾ (ص: ٤٤) فهو دعاء من أيوب، والجزع في الشكوى إلى الخلق، لا إلى الخالق، والدعاء لا ينافي الرضا.

قال الثعلبي: سمعت أستاذنا أبا القاسم يقول: حضرت مجلساً غاصًا بالفقهاء والأدباء والسلطان فسئلت عن هذه الآية بعد إجماعهم على أن قول أيوب شكاية، وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا﴾.

فقلت: ليس هذا شكاية، وإنما هو دعاء بيانه: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ﴾، والإجابة تعقب الدعاء لا الاشتكاء، فاستحبوه وارتضوه.[١]

---

(١) تفسير القرطبي (١١/٣٢٧).

الأنيــــن

أما أنين المريض ففيه روايتان عن الإمام أحمد الكراهة وعدمها.

قال القاضى أبو الحسين: أصح الروايتين الكراهة؛ لما روى طاووس أنه كان يكره الأنين فى المرض.

وقال مجاهد: يُكتَب على ابن آدم مما سطر به حتى أنينه فى مرضه.

وقال جماعة من العلماء: الأنين شكوى بلسان الحال فينافى الصبر.

وقد أحسن العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى عندما قال: اعلم أن الأنين على قسمين أنين شكوى فيكره، وأنين استراحة وتفريج فلا يكره.(١)

الصبر ضرورة حياتية

إن المتأمل فى دنيا الناس وحياة البشر يجد أنها سلسلة من المتاعب، يعانى آلامها الآدميون مند مجيئهم الدنيا حتى

---

(١) تسلية أهل المصائب ص (١٦٣).

يفارقونها، ودورة من المشاق يخوض غمارها الإنسان فى كل طور من أطوار حياته إذ لا يكاد يفرح ويسر حتى يناديه ويلاحقه ما يحزنه، ولا يفتأ يغتنى حتى يدق بابه الفقر. أمنه فى الدنيا مشوب بالخوف وصحته محفوفة بالمرض. آلامه تفوق لذاته، وتعبه فيها يغلب راحته. تلك هى الدنيا وهذا قدر الآدميين فيها.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ (البلد: ٤).

قال سعيد بن جبير فى شدة وطلب معيشة. وقال قتادة: فى مشقة. وقال الحسن: يكابد أمرًا من أمور الدنيا وأمرًا من أمور الآخرة[١].

ويقول أحد الحكماء يصف الدنيا :

جلبت على كَدَرٍ وأنت تريدُها ... صفواً من الآلام والأكدار

ومكلِّف الأيامَ ضدَّ طباعها ... متطلب فى الماء جذوةَ نار

فمن ظنَّ أن الدنيا طريق مفروش بالورد وأرادها خاليةً من المصاعب والآلام فقد أخطأ فى ظنه، وخالف الواقع الذى قدرته المشيئة الإلهية.

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/٥٤٧).

قالت هند بنت النعمان بن المنذر ملك العرب: لقد رأيتنا من أعز الناس وأشدهم ملكًا، ثم لم تغب الشمس حتى رأيتنا ونحن أقل الناس. وقد سألها رجل أن تحدثه عن أمرها. فقالت: أصبحنا ذات صباح وما فى العرب أحد إلا يرجونا، ثم أمسينا وما فى العرب أحد إلا يرحمنا.(١)

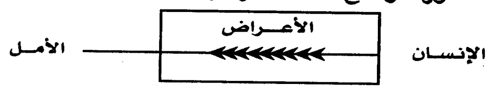
إن للإنسان بداية ونهاية، وبين هذه وتلك قدَّر الله على الإنسان أقداراً لا تغنى عنها المحاذير، وقضى عليه بأعراض لا مناص للخروج منها. عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: خطَّ النبى ﷺ خطًا مربعاً، وخطَّ خطًا فى الوسط خارجاً منه، وخط خططاً صغاراً إلى هذا الذى فى الوسط من جانبه الذى بالوسط، فقال: «**هذا الإنسان وهذا أجله محيطاً به** -أو أحاط به- **وهذا الذى هو خارج أمله، وهذا الخطط الصغار الأعراض، فإن أخطأه هذا نهشه هذا، وإن أخطأه هذا نهشه هذا**»(٢).

---

(١) الطب النبوى - ابن القيم الجوزية (١٤٩).

(٢) رواه البخارى.

صورة توضح ما خطه الرسول ﷺ :



إن هذا الرسم يوضح فى جلاء لا غمـوض فيه ما ينتظر الإنســان من أعراض -أمراض وغـيرها-، وفى هـذا دليل على أن المـرض قدر ينـتظر الآدمى، فـهو من خـصائـصه وصفاته، لا يدرى الإنسان عند أيها يكون انتهاء أجله.

فجدير بالمسلم ألا يغيب ذلك عن وعيه؛ حتى لا تكون الدنيا والجرى وراء لذائذها منتهى أمله.

وما دامت مـشيئـة الله تعالى قـدَّرت على بنى الإنـسان الأمراض، فلابد من سـلاح يواجه به المسلم متـاعبه وآلامه وما يقابله من شدائد.

وليس هناك سلاح أجدى نفعـاً من الصبر؛ إذ به وأمامه تهون كل المصاعب، فهو طـريق النجاح، وسلم الفلاح فى الدنيا والآخرة .

ما تحلى به عابد إلا وصل، ومـا تمسك به أحد إلا ظفر بمراده، وتحققت أغراضه. لولاه ما جنى الزراع ثماره، ولا

نال طالب علم شهادة، ولا توصل باحث إلى مراده.

فقوام النجاح وعماد الفلاح هو الصبر وهو سبيل الارتقاء إلى الدرجات العلى فى الحياة وبعد الممات.

قال أحد الحكماء:

ذرينى أنلْ ما لا يُنالُ من العلا
فصعبُ العلا فى الصعب والسهلُ فى السهل
تريدينَ إدراكَ المعالى رخيصة
ولابدَّ دون الشهد من إبر النحلِ

وقال آخر:

لا تحسب المجد تمرًا أنت آكله   لنْ تبلغَ المجدَ حتَّى تلعقَ الصَّبْرَ

وقال آخر:

لا تيأسن وإن طالتْ مطالبة   إذا استعنتَ بصبر أن ترى فرجا
وقل من جدَّ فى أمر يحاوله   واستصحب الصبر إلا فاز بالظفر

وللصبر معنيان، أحدهما لغوى: وهو حبس النفس عن الجزع، وقد صبر فلان عن المصيبة يصبر صبراً، وصبرته أنا: حبسته، قال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾ (الكهف: ٢٨).

وقال الراغب فى «مفرداته»: الصبر حبس النفس على ما يقتضيه العقل والشرع.

وثانيهما شرعى: وهو حبس النفس على ما أمرت به من مكابدة الطاعات، والصبر على البلاء وأنواع الضرر فى غير معصية، والصبر من أعظم الأصول التى يعتمدها الزهاد وسالكو طريق الآخرة.[١]

وقد قال بوجوب الصبر جماعةٌ من العلماء كابن حزم،[٢] وابن القيم،[٣] وأبو بكر الطرطوشى.[٤]

جزاء الصابرين

إلى المسلمين عامة وأهل البلاء خاصة أسوق هذه النصوص، التى تحمل بين طياتها البشريات لأهل الصبر وتبين نجاحهم وفوزهم فى الدنيا والآخرة.

١- الصابرين يحبهم الله. وكفى بذلك للصابرين أجراً

---

(١) الصبر للدكتور صالح بن ناصر الخزيم ص (١٣).
(٢) المحلى (٥/٢١٦).
(٣) مدارج السالكين (٢/١٥٢).
(٤) كتاب البدع والحوادث ص (١٦٣).

قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ (آل عمران: ١٤٦) وهو معهم برعايته وعنايته قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (البقرة: ٢٤٩).

٢- الصابرين مؤيدون من قبل السماء تمدهم بالنصر على أعدائهم قال تعالى: ﴿بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ (آل عمران: ١٢٥).

وهم فى مأمن ربانى وحصن إلـهى من كل كيد يديره الأعداء قال تـعالى: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾ (آل عمران: ١٢٠).

٣ ـ الصـابرون تؤل أعمـالهم إلى الـفلاح سواء كـانت أعمال دنيوية أم أخروية قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران: ٢٠٠).

٤ ـ الصابـرون يحصدون الخيـر فى الدنيا والآخـرة قال تعالى: ﴿وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ﴾ (النحل: ١٢٦).

وعن أم سلمة قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«ما من مسلم تصـيبه مصيبة فيـقول ما أمره الله: «إنا لله وأنا إليه راجعون»، «اللهم أجـرنى فى مصيـبتى وأخلف لى خـيراً منها إلا أخلف الله له خيـراً منها»**. قالت: فلـما مات

أبو سلمة قلت: أى المسلمين خير من أبى سلمة، أول بيت هاجر إلى رسول الله، ثم إنى قلتها، فأخلف الله لى رسوله . . . . ».(1)

٥ ـ الصابرون ينالون ثوابهم يوم القيامة دون حساب، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (الزمر: ١٠).

٦ ـ الصابرون ينالون بصبرهم منزلة الإمامة فى الدين، قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ (السجدة: ٢٤).

٧ ـ الصابرون هم الكمل من الرجال قال تعالى: ﴿ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ (لقمان: ١٧).

٨ ـ الصابرون أهَّلهم صبرهم للفوز بالجنة، قال تعالى: ﴿ وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴾ (الإنسان: ١٢)، وعن عطاء بن أبى رباح قال: قال لى ابن عباس ﵄: آلا أريك امرأة من أهل الجنة؟ فقلت: بلى. قال: هذه المرأة السوداء، أتت رسول الله ﷺ فقالت: إنى أصرع، وإنى أتكشف فادع الله لى. قال: «**إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوت**

---

(1) رواه مسلم.

الله تعالى يعافيك». «فقالت: أصبر، وقالت: إنى أتكشف» فادع لى أن لا أتكشف، فدعا لها»[١].

وعن عائشة رضي الله عنها أنها سألت رسول الله ﷺ عن الطاعون؟ فأخبرها أنه كان عذابًا يبعثه الله تعالى على من يشاء، فجعله الله رحمةً للمؤمنين، فليس من عبدٍ يقع فى الطاعون، فيمكث فى بلد صابراً محتسباً، يعلم أنه لا يصيبه إلا ما كتب الله له، إلا كان له مثل أجر شهيد»[٢].

وعن أنس رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله عز وجل قال: إذا ابتليت عبدى بحبيبتيه**[٣] **فصبر عوضته منهما الجنة**»[٤]

وعن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: «رمدت عينى فعادنى رسول الله ﷺ، ثم قال: **يا زيد لو أن عينك لما بها**[٥] **كيف**

---

(١) رواه البخارى ومسلم.
(٢) رواه البخارى.
(٣) عينيه.
(٤) رواه البخارى وأحمد.
(٥) لما بها: أى ذهبت.

تصنع؟ قال: كنت أصبر وأحتسب(١) قال: **لو أن عينك لما بها ثم صبرت واحتسبت كان ثوابك الجنة»**(٢).

وفى الصبر على فراق الأحبة قال رسول الله ﷺ. عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: يقول الله تعالى: **«ما لعبدى المؤمن عندى جزاء إذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة»**.(٣)

أمور تعين على الصبر

أولاً: الإيمان بالقضاء والقدر، فما أصاب العبد لم يكن ليخطأه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، فما نزل بالعبد شىء يأباه أم يرضاه إلا كان بإذن الله، ووفق إرادته، وهو واقع لا محالة، قال تعالى: ﴿وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ (التغابن: ١١).

قال علقمة: «هو العبد تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله، فيرضى ويسلم».

---

(١) احتسب: أى أطلب الثواب من الله.
(٢) أخرجه البخارى فى «الأدب» ص (٧٨).
(٣) رواه البخارى.

ثانيًا: العلم بأن الكون ملك الله، يفعل فيه ما يشاء، فهو السيد، والإنسان مملوك لا شيء له في نفسه، وما ينزل بالعبد من بلاء برضى مالكه وسيده، فما على العبد إلا الرضى والتسليم، وفي ذلك سعادة الدارين.

قال أحد الحكماء:

فوحقه لأسلمنَّ لأمره ... في كلِّ ضائقةٍ وشدِّ خناقِ

موسى وإبراهيم لما سلَّما ... سَلِما من الإحراقِ والإغراقِ

ثالثاً: ذكر ثواب الصابرين والراضين بقضاء الله والمؤمنين بقدره.

رابعاً: عدم اليأس، والتعلق بالأمل في الله تعالى، فبيده مقاليد الأمور، وبقدرته تفرَّج الكروب.

خامساً: عدم النظر إلى البلاء، بل يجب النظر إلى من أنزل البلاء سبحانه وتعالى، فهو العليم، ولربما كانت الصحة أو المال سبباً في الغرور والطغيان، وربما كان الولد سبباً في الفسوق والعصيان.

الثواب على المرض أم على الصبر ؟

اختلف العلماء فى ذلك، فمنهم من قال: إن المصاب يثاب على كل مصيبة، واستدلوا بقول الله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلا نَصَبٌ وَلا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلاً إِلاَّ كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ﴾ (التوبة: ١٢).

وعند البخارى أن النبى ﷺ قال: «**ما من مسلم يموت له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث إلا أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم**».(١)

ومن العلماء من ذهب إلى القول بأنه لا ثواب للمصاب إلا على الصبر، واستدلوا بقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (الزمر: ١٠).

قال ابن عبد السلام فى قواعده الثواب إنما يكون على فعل العبد لا على فعل الله فيه. قال تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ (البقرة: ١٥٦-١٥٧).

---

(١) رواه البخارى.

فمـا حصل من صـلاة ورحمـة وهداية إنما هو بسـبب استرجاعهم.

وكذلك حديث أبى موسى الأشعرى رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يقول الله عز وجل يا مـلك الموت، قبضت ولد عبـدى، قبضت قرة عـينه وثمرة فؤاده؟ قـال: نعم. قال: فماذا قال؟ قال: حمدك واسترجع، قال: ابنوا له بيتًا فى الجنة، وسموه بيت الحمد**»(١).

فالحمد والاسترجاع سبب فى بناء البيت فى الجنة.

فـالصواب الـذى ذهب إليـه كثـير مـن العلمـاء: أن المصائب كفارات للذنوب، فعند البخارى عن عائشة رضي الله عنها أن النبى ﷺ قال: «**ما من مصـيبة تصيب المسـلم إلا كفر الله بها عنه، حتى الشوكة يشاكها**».(٢)

أما الأجـر والثواب فلا يكـون إلا مع الصبـر والرضا، روى البخارى عن أنس رضي الله عنه قـال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله عز وجل قال: إذا ابتليت عبدى بحبيبتيه فصبر**

---

(١) رواه أحمد (١٩٢٢٦).

(٢) رواه البخاري.

عوضته منهما الجنة»[1] وعند مسلم أن النبي ﷺ قال: **«عجبًا لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن: إن أصابته سراء شكر، فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له»**.[2]

النهى عن تمنى الموت

تنقل إلينا وسائل الإعلام من وقت لآخر ما يقع فى المجتمعات الغربية من حوادث الانتحار ووقائع التخلص من الحياة بوسيلة أو بأخرى فالانتحار وارتكاب الجرائم هو علاج ما يقابلهم من آلام وعالم المسكرات هو سبيلهم لحل مشاكلهم.

وهذا ما يفعله الكفر بأهله، وهذا ما يصنعه البعد عن الإيمان بأصحابه، أما مجتمع المسلمين فهو طاهر من هذه الأوبئة بفضل الله تعالى، ثم بإيمان أفراده بأن ما أصابهم لم يكن ليخطأهم، وما أخطأهم لم يكن ليصيبهم، إن المسلم يعى أن الدنيا دار ابتلاء، يبتلى فيها الخلق بالخير والشر، إنه

(١) رواه البخاري.
(٢) رواه مسلم.

يدرك أن مصائب الدنيا تجارة رابحة، فيها تكفير السيئات ورفع الدرجات.

كل ذلك وغيره يجعل المسلم بمنأى عن الجزع واليأس إن حل به بلاء، ويمده بالصبر الذى يهوّن عليه آلام الدنيا ومصاعبها.

قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (الحديد: ٢٢).

وتوجيهات الإسلام واضحة فى حث أتباعه على الصبر على البلاء ومواجهة متاعب الدنيا برجولة وثبات.

قال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾ (لقمان: ١٧).

فالإسلام يرفض الهروب من المصائب والبلايا بأى نوع من أنواع الهروب؛ لذا تراه ينهى أتباعه عن تمنى الموت لضر نزل بهم، فقد بيّن الإسلام أن المسلم لا يجنى من طول أجله إلا الخير، فهو إما أن يكون طائعاً فيزداد بطول أجله طاعة، وإما أن يكون مسيئاً فلعله يتوب توبة بها يرضى ربه، وتكون طريقاً له إلى الجنة، وسبيلاً لكسب

الصالحات. عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«لا يتمنى أحدكم الموت، ولا يدعُ به قبل أن يأتيه، إنه إذا مات انقطع عمله، وإنه لا يزيد المؤمن عمرُه إلا خيراً»**(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا يتمنين أحدكم الموت لضر أصابه، فإن كان لابد فاعلاً فليقل: اللهم أحيني ما كانت الحياة خيرًا لي، وتوفني ما كانت الوفاة خيراً لي»**.(٢)

فخيرٌ للمسلم أن لا يتمنى الموت فيستعجل أمرًا علْمه عند الله تعالى، فيصبر ولا يجزع، وأولى به أن يقابل قضاء ربِّه بثبات وعزيمة، ولا يترك للسأم والضجر طريقًا إلى نفسه، ولا سبيل إلى تفكيره، فما تسلل الجزع والسأم إلى نفس وما تمكن منها اليأس والقنوط إلا دفعها إلى عالم الكفر ودنيا الجريمة. غير أنه لا يكره تمنى المسلم للموت إن خاف الفتنة في دينه، وقد كان من دعاء الرسول ﷺ: **«وإذا أردت بعبادك فتنة، فاقبضني إليك غير مفتون»**(٣) وليس

(١) رواه البخاري.
(٢) رواه البخاري ومسلم.
(٣) رواه أحمد في «المسند» (٤/ ٦٦).

من تمنى الموت المنهى عنه أن يتمنى المسلم نيل الشهادة فى سبيل الله، وقد جاء فى الحديث: «**من طلب الشهادة صادقًا أعطيها ولو لم تصبه**»[1].

طلب العلاج

يمرض المسلم فماذا يصنع؟ أيهرع إلى طبيبٍ باحثاً عن علاجٍ ناسيًا ربه الذى خلق الداء وبيده الدواء ؟

أو يسعى فى غفلةٍ لإيجاد علاج لدى دجال أو مشعوذ؟ أم يجلس فى بيته مكتفياً برفع يديه إلى السماء طالبًا تعجيل الشفاء؟

كلا الأمرين خطأ يرفضه الإسلامُ وتأباه نصوص الشريعة.

فواجب المسلم أن لا يركن إلى الأسباب، فيكتفى بالعلاج المادى دون دعاء وذكر، وأن لا يركن إلى الدعاء تاركاً طلب العلاج، فإن الله تعالى الذى أنزل الداء أنزل الشفاء، وحثَّ على طلبه.

(١) رواه مسلم (٣/١٥١٧).

فليتوكل المريض على ربه، وليستعن به، ويضرع إليه، ثم ليأخذ بالأسباب، فيفتش عن العلاج معتمداً أن الدواء سبب، وضع الله فيه الشفاء والتأثير.

عن أبى عبد الرحمن عن عبد الله عن النبى ﷺ قال: **«ما أنزل الله داء إلا أنزل له دواء»**(١).

فهذا أمر صريح بالتداوى والبحث عن العلاج، وإبطال لمقولة الأطباء التى أثبوتها فى قواميسهم «حالة ميئوس من شفائها»، فليس فى الإسلام يأس ولا قنوط، وليس فى عدم شفاء المريض دليل على عدم وجود الدواء، إنما الأمر راجع إلى حكمة الله تعالى وإرادته، ثم مدى قدرة الطبيب على التشخيص ووصف العلاج.

قال أبو سعيد: قال رسول الله ﷺ: **«ما خلق الله من داء إلا جعل له شفاءً، علمه من علمه، وجهله من جهله، إلاّ السام - يعنى الموت»**.(٢)

---

(١) رواه ابن ماجه جـ (٢) ص (١١٣٨)، وفى «الزوائد» إسناده صحيح، ورجاله ثقات.

(٢) مسند أحمد بن حنبل.

وقد كان الرسول ﷺ يمرض فيتداوى، ويعالج أسقامه، فعن عائشة ﵂ قالت: «**كثرت أسقامه، فكان يقوم عليه أطباء العرب والعجم، فيصفون له فنعالجه**».[1] وعن هلال ابن يساف قال: «مرض رجل على عهد النبى ﷺ فقال: **ادعُ له الطبيب**. فقال: يا رسول الله، تعنى الطبيب؟ قال: نعم».[2] وعن عائشة ﵂ قالت: «لما ثقل رسول الله ﷺ، واشتد وجعه استأذن أزواجه أن يمرَّض فى بيتى، فأذنَّ له فخرج، وهو بين الرجلين تخط رجلاه فى الأرض، بين عباس بن عبد المطلب ورجل آخر -على بن أبى طالب- وكانت عائشة تحدث أن رسول الله ﷺ لما دخل بيتى واشتد به وجعه، قال: **أهريقوا علىَّ سبع قرب لم تحلل أوكيتهن، لعلى أعهد إلى الناس**. فأجلسناه فى مخضب لحفصة زوج النبى ﷺ، ثم طفقنا نصبُّ عليه من تلك القرب، حتى طفق يشير إلينا بيده أن قد فعلتن، قالت: فخرج إلى الناس

(١، ٢) مسند أحمد بن حنبل.

فصلى بهم وخطبهم». (١) والوكاء رباط القربة. والمخضب: وعاء لغسل الثياب أو تلوينها. (٢)

قال العلامة ابن القيم: «فكان من هديه ﷺ فعل التداوى فى نفسه، والأمر به لمن أصابه مرض من أهله وأصحابه» .... ثم يقول بعد أن ساق عدة أحاديث تحث على التداوى: «وفى هذه الأحاديث الأمر بالتداوى، وأنه لا ينافى التوكل، كما لا ينافيه دفع داء الجوع والعطش والحر والبرد بأضدادها، بل لا يتم حقيقة التوحيد إلا بمباشرة الأسباب التى نصبها الله مقتضيات لمسبباتها، قدراً وشرعاً، وأن تعطيلها يقدح فى نفس التوكل. وحقيقة التوكل: اعتماد القلب على الله فى حصول ما ينفع العبد فى دينه ودنياه، ولابد مع هذا الاعتماد من مباشرة الأسباب»، ثم يقول: «وفيها -أى الأحاديث- رد على من أنكر التداوى»(٣).

---

(١) رواه البخارى.

(٢) انظر القاموس المحيط.

(٣) الطب النبوى -ابن قيم الجوزية ص (٥-١١).

ما ينبغي للمريض

هناك عدة أمور ينبغي للمريض أن يحرص عليها وهي:

أولاً: ينبغي للمريض أن يجتهد في تحسين خلقه، فلا ينازع في أمر من أمور الدنيا.

ثانياً: ينبغي للمريض أن يستحضر في ذهنه أن هذا آخر أوقاته في الدنيا، فيختم أعماله بخير.

ثالثاً: ينبغي للمريض أن يستحل كل ما كانت له معاملة أو مصاحبة، ويرضيهم قبل أن لا يكون هناك دينار ولا درهم، فعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرضه أو من شيء فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه**»[1].

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**أتدرون من المفلس؟** قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع.

---

(١) رواه البخاري.

فقال: **المفلس من أمتى من يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتى وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم، فطرحت عليه، ثم طرح فى النار»**[1].

رابعاً: أن يتعاهد نفسه بقراءة القرآن، والذكر، وسيرة الرسول ﷺ، والسلف الصالح، وأحوالهم عند الموت.

خامساً: أن يحافظ على الصلوات، وكل ما فيه رضا الله تعالى.

سادساً: أن يوصى أهله إن هو مات بالصبر عليه، وترك ما فيه مخالفة للشرع، كالنياح ولطم الخدود وإقامة السرادقات.

سابعاً: أن يكثر من الدعاء فيظهر فيه ضعفه وافتقاره إلى ربه وتوبته مما اكتسبت يداه من السيئات، فإن الله غفور رحيم، قال تعالى: ﴿**قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا**

---

(١) رواه مسلم.

تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾ (الزمر: ٥٣).

وفى الحديث: «**لا تُرَدّ دعوة مريض حتى يبرأ**»(١).

وقد قيل: إن أفضل الدعاء ما علّمه النبى ﷺ لعلىّ ابن أبى طالب رضي الله عنه وهو مريض: «**اللهم أسألك عافيتك، وصبراً على بليتك، وخروجًا من الدنيا إلى رحمتك**»(٢).

وقد شكا عثمان بن أبى العاص للرسول ﷺ وجعًا فقال له: «**ضع يدك على الذى تألم من جسدك، وقل: بسم الله، ثلاثاً. وقل سبع مرات: أعوذ بالله من شر ما أجد وأحاذر**» (٣).

وعن أبى الدرداء رضي الله عنه أنه اشتكى إليه رجل احتباس البول، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من اشتكى منكم شيئاً فليقل: ربنا الله الذى فى السماء، تقدس اسمك، أمرك فى السماء والأرض، كما رحمتك فى السماء، فاجعل رحمتك فى الأرض، واغفر لنا حوبنا وخطايانا، أنت رب الطيبين، أنزل رحمة من رحمتك، وشفاء من شفائك على**

---

(١) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين ص (١٠٨).
(٢) أخرجه الحاكم، وقال: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.
(٣) رواه مسلم.

هذا الوجع، فيبرأ» وأمر أن يرقيه فبرأ(١).

ومن مراسيل يحيى بن كثير قال: فقد رسول الله ﷺ سلمان، فسأل عنه، فأخبر أنه عليل، فأتاه يعوده فقال: شفى الله سقمك، وعظَّم أجرك، وغفر ذنبك، ورزقك العافية فى دينك وجسمك إلى منتهى أجلك. إن لك فى وجعك خلالاً ثلاثاً: أما الأول فتذكرة من ربك يذكرك بها، وأما الثانية لما سلف من ذنوبك، وأما الثالثة فادعُ بما شئت فإن المبتلى مجاب الدعوة»(٢).

ثامناً: يتصدق بما يتيسر له، وفى الحديث: **«داووا مرضاكم بالصدقة»**.(٣)

تاسعاً: ألا يشكو حاله لأحد، إلا إذا كانت فى الشكوى مصلحة.

عاشراً: أن يبحث عن علاج فيتداوى، ولا يكن نظره على الدواء وحده، بل يعتبر أنه سبب خلقه الله، ومنحه

---

(١) أخرجه أبو داود. والحوب: الإثم.

(٢) عدة الصابرين.

(٣) أخرجه البيهقى، وصححه الألبانى فى «صحيح الجامع» (٣٣٥٣).

التأثير، فالله هو وحده الشافي، وفي الحديث: **«تداووا عباد الله، فإن الله لم يضع داءً إلا وضع له دواء، غير الهرم»**(١).

الحادي عشر: أن يتحلى بالصبر، ويضبط نفسه، فلا يصدر منه ما ينافي صبره، سواء كان قولاً أو فعلاً، كسبٍّ المرض، فعن عبد الله بن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ دخل على أم السائب - أو أم المسيب - فقال: **«ما لك يا أم السائب تزقزقين؟»** قالت: الحمى لا بارك الله فيها. فقال: **«لا تسبي الحمى، فإنها تُذهب خطايا بني آدم، كما يُذهب الكير خبث الحديد»**(٢).

قال العلامة ابن قيم الجوزية: ذكرت مرة وأنا محموم قول بعض الشعراء يسبُّ الحمى:

زارتْ مكفرةُ الذنوب وودعتْ	تباً لها من زائر ومودع
قالت وقد عزمت على ترحالها	ماذا تريد؟ فقلت ألا ترجعي

فقلت: تبا له، إذا سب ما نهى الرسول عن سبه. ولو قال:

زارت مكفرة الذنوب لصبها	أهلا بها من زائر ومودع
قالت وقد عزمت على ترحالها	ماذا تريد؟ فقلت ألا تقلعي

---

(١) رواه أبو داود وابن ماجه والترمذي، وقال: حسن صحيح.

(٢) رواه مسلم.

لكان أولى به ولأقلعت عنه فأقلعت عنى سريعاً.[١]

الثانى عشر: كذلك ينبغى للمريض ألا يعالج نفسه بشىء إلا بعد استشارة أهل الاختصاص، وألا يعالج نفسه بحرام. جاء رجل إلى رسول الله ﷺ يسأله عن الخمر، فنهاه أن يصنعها. فقال: إننى أصنعها للدواء. فقال ﷺ: **إنه ليس بدواء ولكنه داء.** [٢]

وعن طارق بن سويد الحضرمى قال: قلت: يا رسول الله، إن بأرضنا أعنابًا نعتصرها فنشرب منها؟ قال: **لا**. فراجعته قلت: إنا نستشفى به للمريض، قال: **إن ذلك ليس بشفاء ولكنه داء**.[٣]

الثالث عشر: كذلك ينبغى له أن يحسن الظن بربه، فقد نهى الرسول ﷺ: أن يموت المسلم وهو لا يحسن الظن بالله. عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: سمعت النبى ﷺ

---

(١) الطب النبوى ص (٢٣).
(٢) التاج الجامع للأصول جـ (٣) ص (١٤١).
(٣) رواه ابن ماجه جـ (٢) ص (١١٥٧).

قبل وفاته بثلاث يقول: «**لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله**»(١).

وعن أنس أن النبى ﷺ زار شاباً مريضاً فلما دخل عليه قال: **كيف تجدك**؟ قال: والله يا رسول الله إنى أرجو الله وإنى أخاف ذنوبى. فقال رسول الله ﷺ: «**لا يجتمعان فى قلب عبد فى مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو وأمنه مما يخاف**»(٢).

عيادة المريض

إن المفترض فى مجتمع المسلمين أن يكون جسداً واحداً، يألم لألم أحد أعضائه، ويفرح لفرحه، ويتفاعل مع أشجانه وأحزانه. إنه مجتمع متساند متكاتف متعاطف. وما بنى الرعيل الأول من المسلمين دولتهم، وما لانت أمامهم المصاعب، وما كسروا شوكة أعدائهم إلا بإيمانهم بالله، وقيام كل منهم بما أوجبه الإسلام عليه من حقوق لمجتمعه جماعات وأفراد .

---

(١) رواه مسلم.

(٢) المنذرى فى «الترغيب والترهيب» جـ (٤) ص (٢٦٨).

ولا خير في مجتمع سيطرت على أفراده الأنانية وحب الذات. ولن تقوم قائمة لأمة شعار أفرادها «أنا»، فهى داء إن سرى فى جسد أمة فرَّق كلمتها، وشتت جمعها، وبدد عزتها. ومجدها، وجعلها لقمة سائغة للطامعين، ولقد أوجب الإسلام للمسلم على إخوانه حقوقاً، وألزمهم بالقيام بها، وجعلها ركيزة تقوم عليها وحدتهم، ويُبنى على أساسها مجدهم ورفعتهم، ولقد كان بين تلك الحقوق «عيادة المريض»، والتى تضافرت النصوص التى تأمر به وتحث عليه.

عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«حق المسلم على المسلم خمس: رد السلام، وعيادة المريض، واتباع الجنائز، وإجابة الدعوة، وتشميت العاطس»**(١).

وعن أبى موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«عودوا المريض وأطعموا الجائع، وفكوا العانى»** العانى: الأسير(٢).

---

(١) رواه البخاري ومسلم.
(٢) رواه البخاري.

ويا له من توجيه حكيم لما له من أثر نبيل على نفس المريض والمقربين منه؛ إذ يستشعر المريض أن له إخوانًا يشغلهم أمره، ويشاركونه أفراحه وأحزانه. إنه يحس أنه موجود، وجزء من جماعة تساعده، وتعينه، وتؤازره فى مواجهة متاعب الحياة .

ثم إن عيادة المريض توثق الروابط بين أفراد المجتمع، وتقوى بينهم العلاقات، وتخفف عليهم ما هم فيه من متاعب.

لذا جعل الإسلام عيادة المريض واجب مقدس، لا ينبغى إهماله، أو التفريط فيه، أو القيام به لفئة دون فئة، أو شخص دون آخر، ولضخامة وعظم أثرها فإن الله -عز وجل- سيحاسب المسلم على المريض الذى قصَّر فى حقه، وتهاون فى زيارته.

فعن أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله عز وجل يقول يوم القيامة: يا بن آدم مرضت فلم تعدنى. قال: يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت**

فلانًا مرض فلم تعده؟ أما أنك لو عدته لوجدتني عنده .....» الحديث(١).

ثواب عيادة المريض

وفي ثواب عيادة المريض جاء في الحديث عن ثوبان أن النبي ﷺ قال: **«إن المسلم إذا عاد أخاه المسلم لم يزل في خرفة الجنة حتى يرجع»** قيل: يا رسول الله وما خرفة الجنة؟ قال: **«جناها»**(٢) وعن عليّ رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«ما من مسلم يعود مسلمًا غدوة إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يمسي، وإن عاده عشية إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح، وكان له خريف في الجنة»**(٣).

وقد جعلها الرسول من المؤهلات لدخول الجنة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من أصبح اليوم منكم صائماً؟** قال أبو بكر: أنا. قال: **من عاد منكم اليوم مريضًا؟** قال أبو بكر: أنا. قال: **من شهد منكم اليوم**

(١، ٢) رواه مسلم.

(٣) رواه الترمذي، وقال: حديث حسن، والخريف: التمر المخروف، أي المجتنى.

جنازة؟ قال أبو بكر: أنا. قال: **من أطعم منكم اليوم مسكينًا ؟** قال أبو بكر: أنا. قال مروان: بلغني أن النبي قال: «**ما اجتمعت**[1] **هذه الخصال في رجل في يوم إلا دخل الجنة**».[2] فأنعم به من واجب سهل وحق يسير. وأنعم به من أجر جزيل، وأكرم بمسلم قام بحقوق المسلمين، وأدى ما عليه من واجبات تجاه مجتمعه؛ ابتغاءً مرضاة الله، وطمعًا في الثواب.

توجيهات لعائد المريض

إن عيادة المريض حق إسلامي، من المسلمين مَنْ يقوم به على أكمل الوجوه، ومنهم من يتجاهله، ومنهم من يقوم به لشيء دنيوي في نفسه، فيقوم به لفئة دون أخرى.

غير أن الإسلام وجَّهنا إلى أمور ينبغي أن نراعيها عند عيادة المريض .

أولاً: أن يعجِّل بها المسلم ليكمل ثوابه، وأفضل المعروف ما صادف الحاجة.

---

(١) قال الكاندهلوي: «الصواب ما اجتمعت كما في الترغيب».

(٢) رواه البخاري في «الأدب المفرد» ص (٧٥).

ثانياً: إخلاص الـنية لله تعـالى، فعـيادة المريض عـبادة دينية، وذلك يحتم على القـائم بها إخلاص النية لله، والله تعالى لا يقبل من الأعمال إلا مـا كان خالصاً لوجهه، قال تعالى: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ (البينة: ٥).

ثالثاً: أن يداوم على سؤال أهل المريض عن حال المريض لما لذلك من أثر طيب على نفوسهم، عن ابن عباس ﵄ أن عليّ بن أبى طالب ﵁ خرج من عند رسول الله ﷺ فى وجعه الذى توفى فيه فقال الناس: يا أبا الحسن كيف أصبح رسول الله ؟ قال بحمد الله بارئا[١].

رابعاً: عدم الكـلام عند المريض إلا بكلام طـيب، كأن ينفـس له فى الأجل، أو يبـشره بقـرب الشفـاء، ومغـفرة الذنوب، أو يحثه على الصبر ودوام العبادة، أو يدعو له.

عن ابن عبـاس ﵄ أن النبى ﷺ دخل على أعـرابى يعوده قال: وكان النبى إذا دخل على مريض يعوده قال له: «**لا بأس طهور**[٢] **إن شاء الله**. قال: قلت طهـور؟ كلا بل

(١) رواه البخاري.

(٢) معنى «طهور» أى مطهر لك من الذنوب.

هى حمى تفور -أو تثور- على شيخ كبير تزيره القبور. فقال النبى ﷺ: **فنعم إذًا»** .(١)

فى الحديث: «**من عاد مريضاً لم يحضر أجله فقال عنده. سبع مرار: أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك إلا عافاه الله من ذلك المرض**»(٢).

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ: كان إذا أتى مريضًا أو أوتى به قال عليه الصلاة والسلام: «**اذهب البأس رب الناس، اشف أنت الشافى، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقمًا**»(٣).

وكان ابن عمر رضي الله عنهما إذا دخل على مريض يسأله كيف هو؟ فإذا قام من عنده قال: «**خار الله لك**» ولم يزده عليه (خار لك) أى اختار لك.

خامساً: عدم إطالة الجلوس عند المريض، فلربما كان ذلك يؤذيه. اللهم إلا إذا كان الزائر صديقاً أو قريباً يأنس به المريض، فلا بأس بالإطالة.

---

(١) رواه البخارى (٢/ ٨٤٤).
(٢) أخرجه أبو داود والترمذى عن ابن عباس رضي الله عنهما.
(٣) رواه البخارى.

مشروعية الرقى

ويستحب لعائد المريض أن يرقى؛ لورود السنة بذلك عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه أن جبريل أتى رسول الله ﷺ فقال: «**يا محمد اشتكيت؟ فقال: نعم. قال: بسم الله أرقيك، من كل شر يؤذيك، من شر كل نفس أو عين حاسد، الله يشفيك. بسم الله أرقيك**»(١). وقد صح أن الرسول ﷺ نفث على نفسه فى مرضه الذى قبض فيه بالمعوذات، فلما ثقل كانت عائشة رضي الله عنها تنفث عليه بأمره، قال ابن الأثير: «**نفث من النفث بالضم، وهو شبيه بالنفخ، وهو أقل من التفل، لا يكون إلا ومعه شيء من الريق**»(٢).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا آوى إلى فراشه نفث فى كفيه بقل هو الله أحد وبالمعوذتين جميعًا، ثم يمسح بهما وجهه، وما بلغت يداه من جسده، قالت عائشة: فلما اشتكى كان يأمرنى أن أفعل ذلك به»(٣). وقد

---

(١) رواه مسلم

(٢) الإفادة لما جاء فى المرض والعيادة -تحقيق الدكتور عبد الله نذير.

(٣) البخاري ومسلم.

كان النبي ﷺ يرقى أصحابه بالقرآن آنًا، وبالأذكار والأدعية أخرى، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا اشتكى منا إنسان مسحه بيمينه، ثم قال: «**أذهب البأس رب الناس، واشف أنت الشافى، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقمًا**».(١)

وقد نقل النووى والحافظ ابن حجر وغيرهما الإجماع على مشروعية الرقى عند اجتماع ثلاثة شروط:

١- أن يكون بكلام الله وبأسمائه وصفاته.

٢- أن يكون باللسان العربى، أو بما يعرف معناه من غيره.

٣- أن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها، بل بذات الله تعالى.(٢)

طهارة المريض وصلاته

قال تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا﴾ (المائدة: ٦).

---

(١) رواه مسلم.

(١) راجع فتح البارى لابن حجر، والنووى على مسلم، وفقه السيرة للبوطى ص (١٠٥).

إن الإسلام دين السهولة والسماحة، وليس هناك أحوج لليسر والسهولة من المريض، والذى أحاطه الإسلام بعنايته وسماحته، وراعى عذره، وجعل له أحكامه الخاصة به.

فكيف يتطهر المريض، وما هى كيفية صلاته؟

طهارة المريض:

يتوضأ المريض إن استطاع، وإلا فقد أباح له الإسلام التيمم،[١] وقد قال الشيخ سيد سابق فى «فقه السنة» معدداً

---

(١) وكيفية التيمم: إن على المتيمم أن يقدم النية، ثم يسمى الله تعالى، ويضرب بيده الصعيد الطاهر، ويمسح بهما وجهه ويديه إلى الرسغين، ولم يرد في ذلك أصح ولا أصرح من حديث عمار رضي الله عنه قال: أجنبت فلم أصب الماء فتمعكت في الصعيد، فذكرت ذلك للنبى ﷺ فقال: «**إنما كان يكفيك هكذا**» وضرب بكفيه في الأرض ونفخ فيهما، ثم مس بهما وجهه وكفيه. رواه الشيخان. وفي لفظ آخر: «**إنما كان يكفيك أن تضرب بكفيك في التراب، ثم تنفخ فيهما، ثم تمسح بهما وجهك وكفيك إلى الرسغين**». رواه الدارقطنى. هذا الحديث الاكتفاء بضربة واحدة، والاقتصار فى مسح اليدين على الكفين، وإن من السنة لمن تيمم بالتراب أن ينفض يديه وينفخها منه، ولا يعفر به وجهه. اهـ.
وقال أيضاً: ويجوز التيمم بالتراب الطاهر، وكل ما كان من جنس الأرض، كالرمل والحجر والجص.

الأسبـاب المبيحـة للتيـمم: إذا كان به جراحـة أو مرض، وخاف من استعمال الماء زيادة المرض أو تأخر الشفاء، سواء عرف ذلك بالـتجربة أو بإخبـار الثقة من الأطبـاء؛ لحديث جـابر رضي الله عنه قال: خـرجنا فـى سفـر، فأصـاب رجلاً مـنا حجرٌ، فشـجه فى رأسه، ثم احتلم، فسـأل أصحابه: هل تجدون لى رخصة فـى التيمم؟ فقالوا: ما نجـد لك رخصة وأنت تقدر عـلى الماء. فاغتسل فـمات. فلما قـدمنا على رسول الله ﷺ أخبـر بذلك فـقال: «**قتـلوه قتـلهم الله، ألا سألوا إذا لم يعلموا؟ فإنما شفاء العى**[1] **السؤال، إنما يكفيه أن يتيمم، ويعصر أو يعصب علـى جرحه خرقة، ثم يمسح عليه، ويغسل سائر جسده**»[2].

المسح على الجبيرة

متى يمسح المريـض على الجبيرة؟ من به جـراحة أو كسر وأراد الوضوء أو الـغسل وجب عليـه غسل أعضـائه، ولو اقتـضى ذلك تـسخين الماء، فـإن خاف الـضرر من غـسل

(١) العى: الجهل.

(٢) رواه أبو داود وابن ماجه والدارقطنى.

أعضاء العضو المريض، بأن ترتب على غسله حدوث مرض أو زيادة مرض أو زيادة ألم، أو تـأخر شفاء، انتقـل فرضه إلى مسح العضو المريض بالماء، فإن خاف الضرر من المسح وجب علـيه أن يربط علـى جرحه عـصابة، أو يشـد على كسره جبـيرة بحيث لا تتجاوز العـضو المريض إلا لضرورة ربطها، ثم يمسح عليها مرة تعـمها، والجبيرة أو العصابة لا يشترط تقدم الطهارة على شدها، ولا توقيت فيها بزمن، بل يمسح عليـها دائمًا فى الوضـوء والغسل ما دام العذر قـائمًا، ويبطل المسح على الجبيرة بنزعـها من مكانها أو سقوطها عن موضعها عن برء، أو براءة موضعها وإن لم تسقط.[1]

صــلاة الـمـريــض:

وعن صلاة المريض يقول الشيخ سيد سابق: «من حصل له عذر من مرض ونحوه لا يستطيـع معه القيام فى الفرض يجوز له أن يصلى قاعدًا، فإن لم يـستطع القيام صلى على جنبه، يومئ بـالركوع والسجود، ويجعل سـجوده أخفض

(١) فقه السنة ص (٧٣، ٧٤)، جـ (١) الفتح للإعلام العربي.

من ركوعه؛ لقول الله تعالى: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾ (النساء:١٠٣)، وعن عمران بن حصين قال: كانت بى بواسير، فسألت النبى ﷺ عن الصلاة؟ فقال: «**صل قائمًا، فإن لم تستطع فقاعدًا، فإن لم تستطع فمستلقيًا**».(١)

وعن جابر قال: عاد النبى ﷺ مريضًا فرآه يصلى على وسادة، فرمى بها وقال: «**صلِّ على الأرض إن استطعت، وإلا فأومئ إيماء، واجعل سجودك أخفض من ركوعك**»، ورواه البيهقى، وصحح أبو حاتم وقفه.

والمعتبر فى عدم الاستطاعة هو الثقة، أو خوف زيادة المرض، أو بطئه، أو خوف دوران الرأس.

صفة الجلوس:

وصفة الجلوس الذى هو بدل القيام أن يجلس متربعًا، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: رأيت النبى ﷺ يصلى متربعًا(٢) ويجوز أن يجلس كجلوس التشهد.

---

(١) رواه الدارقطنى.

(٢) رواه النسائى، وصححه الحاكم.

من عجز عن القيام

وأما صفة صلاة من عجز عن القيام والقعود فقيل يصلى على جنبه، واختار هذا ابن المنذر، وورد فى ذلك حديث ضعيف. عن علىٍّ رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: «**يصلى المريض قائمًا إن استطاع، فإن لم يستطع صلى قاعدا، فإن لم يستطع أن يسجد أومأ، وجعل سجوده أخفض من ركوعه، فإن لم يستطع أن يصلى قاعدًا صلى على جنبه الأيمن مستقبل القبلة، فإن لم يستطع أن يصلى على جنبه الأيمن صلى مستلقيًا ورجلاه مما يلى القبلة**»[1] وقال قوم: يصلى كيفما تيسر له، وظاهر الأحاديث أنه إذا تعذر الإيماء من المستلقى لم يجب عليه شىء بعد ذلك[2].

ما فات من الصلاة حال الإغماء

وعلى المريض قضاء ما فاته من الصلوات فى إغمائه، وإن شق عليه فعل كل صلاة فى وقتها فله الجمع بين الظهر

(١) رواه الدارقطنى (١٦٨٨).
(٢) فقه السنة.

والعصر، وبين المغرب والعشاء فى وقت أحدهما؛ لأن ابن عباس قال: «جمع رسول الله ﷺ بين الظهر والعصر والمغرب والعشاء بالمدينة من غير خوف ولا مطر».[1] وقد أمر النبى ﷺ سهلة بنت سهيل وحمنة بنت جحش بالجمع بين الصلاتين. لأجل الاستحاضة وهو نوع مرض، وهو مخير بين التقديم والتأخير، أى ذلك فعل جاز - فإن جمع فى وقت الأولى اشترط نية الجمع عند فعلها، ويعتبر استمرار العذر حتى يشرع فى الثانية منهما، ولا يفرق بينهما إلا بقدر الوضوء.[2]

---

(١) متفق عليه.

(٢) شرح العمدة فى فقه إمام السنة أحمد بن حنبل -تأليف بهاء الدين المقدسى ص (١٠٠).

خـاتـمــة

لقـد خلق الله الإنـسان لعـبادتـه، وجاء به إلـى هذه الدنيا؛ ليعمرها بالطاعة والعبـادة، وبمشيئته الحكيمة كتب عليه فيـها البلاء وقدَّر عليـه المرض، ليشعر بضعـفه أمام قدرة الله وقوته، ويعرف قـيمة العافية والصحـة؛ فيشكر ربه حق شكره.

وأيضاً لتكون هذه الأمراض والأسـقام وتلك الابتلاءات نفحات ربانية، بها يتطهر الإنسان من ذنوبه.

وأيضاً لتكون محطات تذكيـر، عندها يتوقف المذنبون، فيرجعون إلى رشدهم، ويعودون إلى ساحة الإيمان.

فليت المسـلمون يدركون ذلك فـيقابلون البـلاء برجولة وعزيمة، والمـرض بصبر وثبـات، وفى ذلك سعـادتهم فى الدنيا والآخرة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المؤلف

الفهرس